ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 08 العدد: 01(2023) ص 289-302

مظاهر الأبوية في رواية "نورس باشا لـ "لهاجر قويدري

Aspects of Patriarchy in the novel "Nawras basha" by Hajar Qouideri

حنان بوفعطيط *	محمد الصالح خرفي
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1	جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل
Boufaatit.hanane@gmail.com	Khalilkherfi18@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
25 اوت 2021
تاريخ القبول:
30 اكتوبر 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الأبوية
- ✓ الأنوثة
- ✓ الذكورة

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز مظاهر الأبوية و قمع الأنثى، في المجتمع الجزائري خلال حقبة الحكم العثماني. ويتمثل هذا القمع في تجاهل الخصوصية الأنثوية وحصر المرأة في الغواية والدونية والضعف، فهي تابعة أو ملحقة بالأخر لأن وجودها لا يتحقق إلا به. و هذا ما تجلى في شخصية الضاوية بطلة رواية "نورس باشا" للروائية الجزائرية هاجر قويدري، التي أظهرت الوجه المسكوت عنه للمرأة الجزائرية و الممارسات الأبوية ضدها في ذلك العهد. والذي يمكن أن يكون في أي زمن آخر، وقد جمعت الرواية بين التاريخ والحياة الاجتماعية لنسوة العهد العثماني.

Article info

Received
28 August 2021
Accepted
30 October 2021

Keywords:
- ✓ *Patriarchal*
- ✓ *Womenhood*
- ✓ *Masculinity*

Abstract :

This article aims to highlight the aspects of patriarchy and female oppression in Algerian society during the Ottoman era. This repression is the represented for female privacy and the restriction of women in temptation, inferiority and vulnerability, as they are subordinate or attached to the other because their existence is linked only by him. This is manifested in the personality of The "Dawia", the heroine of the novel "Norse Pasha" by the Algerian novelist Hajar Quedri, who showed the reported topics of Algerian women and patriarchal practices against her at that time, which could have happened at any other time. the novel combined history with the social life of the women of the Ottoman era.

* المؤلف المرسل

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة

يعدّ موضوع "المرأة" من الموضوعات التي حظيت بالعناية في البحوث الأكاديمية ؛ إذ تعدَّدت وجهات النظر التي تناولت هذه المسألة؛ مِن أدبيَّة، وسياسيَّة، واجتماعيَّة، وتاريخيَّة. و لا يمكن الحديث عن المرأة دون أن نقرنه بالحديث عن الرجل الذي تبادل معها الأدوار منذ الخلق. حيث ساد النظام الأمومي في العصر الحجري، إذ كانت المرأة هي العالمة بأمور الزراعة، وهي الحاكمة والآمرة لمدة طويلة. بعدها انقلبت موازين القوى أو ما سماه **"كارل ماركس"** بالانقلاب التاريخي الكبير على النظام الأمومي وصار الرجل هو الطرف الأقوى، من خلال امتلاك الأرض ومن عليها بما فيها المرأة. و هنا نشأ النظام الأبوي، الذي يعطي الأب أو سيد الأسرة حرية التحكم المطلق فيمن حوله (أم، أولاد، عمال) . و قد استمر هذا النظام الاجتماعي/الأسري إلى العصور الحديثة، إذ ظل سائدا خلال النظامين الإقطاعي والرأسمالي اللذين ثبتا السلطة الأبوية.[1]

ويعود مصطلح الأبوية إلى الكلمة الاغريقية patriarkhès والتي تعني أب الجنس البشري، أو حاكم الجنس البشري.

ويُشتقّ مصطلح "البطريركية" الإنكليزي (patriarchy) من كلمة patriarches اليونانية التي تعني كبار السنّ من الذكور، ويُقصد بها الآباء،زعماء العائلات والقبائل والكنائس ". وفي الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، يشير مصطلح النظام الأبوي إلى العائلات والفئات الاجتماعية والهيكليات المهنية والسياسية التي يتولّى فيها الرجال مواقع السلطة.

و يمتلك الرجل في النظام الأبوي السلطة الكاملة في المجتمع والأسرة. إذ يتحكم الأب أو الأخ الأكبر -في غياب الأب- في النساء والأطفال. فهو متشبع بقيم مجتمعه التي تتيح له أن يتحكم في أخواته البنات؛ و في بعض الأحيان تكون أمه تحت تصرفه وسلطته، وفيما بعد زوجته، ثم كنته.[2]

لقد كانت بداية استخدام مصطلح "الأبوية" في الأزمنة الماضية ذات معنى إيجابي، إذ إنّ حامل اللقب ذو منزلة و شأن، لكنه مع الوقت حمل شحنة سلبية، تحيل على التسلط على المرأة و الهيمنة عليها والنظر إليها بدونية و احتقار و حرمانها من عديد حقوقها، سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم فكرية.

وبشكل عام يمنح النظام الأبوي الرجل سلطة القرار والتنفيذ، وامتلاك أدوات إنتاج الهيمنة والسلطة، والتحكم بكل شيء والمعرفة الشاملة لكل شيء ؛فتصبح المرأة دون الرجل لا مقابل الرجل، إذ "ينطوي تعيين الرجل والمرأة في القطبين المتقابلين لهذه الثنائيات على تراتب في القيم (الرجل أعلى قيمة من المرأة)، وعلى توزيع غير عادل للسلطة والموارد (الرجل مسيطر والمرأة خاضعة). وينعكس ذلك من خلال موقعيهما غير المتكافئين في أهم مكونات حياة المجتمع وأنشطته: في السياسة والاقتصاد، في العلم والعمل، في القانون والأسرة (. . .) و في كافة أوجه الوجود الإنساني "[3].

ففي المجتمع الأبوي يكون الأب هو الحاكم الأعلى الذي يتميز بالحكمة والمعرفة والكمال، وهذا يؤدي إلى ضرورة – حتمية-التقيد بأوامره والخضوع لها دون ابداء أدنى رفض أو معارضة، فسلطة الأب تجمع بين الاحترام و الرهبة في آن واحد، و كل أب راحل(الموت أو السفر أو الغياب)يحلُ محلّه أب جديد يعوضه أو يكون بديلا عنه يمارس سلطاته .إذ كل فرد من الأسرة خاضع للسلطة الأبوية ،أما الأنثى فهي غالبا ما تقع تحت خضوع مزدوج؛ خضوع لسلطة الأب والأخ الأكبر، أو العم أو الجد أو أحد أفراد العائلة الذين لهم سلطة معينة.

و إذا عدنا إلى المجال اللغوي وجدنا أن اللغة تمارس عملية إقصاء على المرأة، وهو إقصاء مقترن بقبول اجتماعي يصل أحيانا حد التقديس، بل ويتم تدريسه علمًا يرفع شأن صاحبه، وينال به الشهادات العلمية، التي تخوله تقلد المناصب السامية. فنجد في اللغة العربية -وفي الكثير من اللغات الأخرى التي يتداولها أفراد وجماعات متشبعة بالقيم الأبوية- على سبيل المثال قواعد النحو تعظم من شأن المذكر الواحد؛ فلو حضر شخص ذكر ضمن مجموعة لا متناهية من

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

النساء فهو بمفرده يجعل الجمع مذكرا! أي أنه بعبارة أخرى يلغي الحضور الأنثوي لتلك الأعداد اللامتناهية من النساء بمجرد أن يكون معها. وهو ما يُموضع الرجل مركزا والمرأة هامشا. ومن الأمثلة المثيرة للدهشة في العربية أن اسم العلم المؤنث يمنع التنوين شأنه في ذلك شأن اسم العلم الأعجمي![4]. فمكانة الاسم المؤنث بمثل مكانة الاسم الأعجمي، فهو ليس أصلا، وليس مهما، وليس محوريا، إنه بكل بساطة مجرد: هامش و المركز هو الذكر.

ولقد رسخ النسق الثقافي العربي، منذ القديم، في العقول أن" اللغة هي ملكة الرجل ومحميته، و أن العقل واللغة هما الحسنين وقد اجتمعا في الرجل، أما الأنثى فهي مجرد جسد يستقبل هذه اللغة"[5]...بل المرأة تنكتب بها ،و يحوز الرجل على السبق كلاما و لغة و قرارا و واقعا، فهو المقدم و المتقدم والسابق والأول، المسيطر الآمر الناهي وهي الخاضعة المستسلمة لقدرها و لواقعها، فتزداد الفجوة بينهما اتساعا وعمقا، فتبتعد المرأة عن الرجل بفعل هذه السلطة الأبوية و الجبروت الذكوري و هو ما يطرح عديد الأسئلة ،إذ لماذا تتكرس هذه النظرة الدونية للمرأة؟، و لماذا هي دائما على هامش التاريخ وحتى الجغرافيا؟، وكيف تعاملت النصوص الروائية الأنثوية مع المرأة سردا ؟،و كيف أظهرت الروائية هذه السلطة الأبوية؟، و غيرها من الأسئلة الاشكالية التي تشكل هاجس هذا المقال ،الذي يحاول الإجابة عنها من خلال نموذج سردي جزائري ،هو رواية "نورس باشا" للروائية هاجر قويدري*،التي تقنعت بالتاريخ وأخرجت المرأة –الذات المقهورة-من هامش السرد إلى مركزه؛ فالكاتبة أنثى و بطلتها –الضاوية-أنثى، فالمرأة برؤية المرأة تختلف عن رؤية الرجل إليها، فالسلطة هنا مزدوجة ؛سلطة الذات و سلطة الكتابة .

1-القيم الأبوية ووهم الأبدية:

تعرف الأبوية كنظام اجتماعي على أنها "بنية اجتماعية وسايكولوجية متميزة تطبع العائلة والقبيلة والسلطة والمجتمع (...) وتكوّن علاقة هرمية تراتبية تقوم على التسلط والخضوع اللاعقلاني"[6]، حيث تعتبر المرأة في هذا النظام الحلقة الأضعف التي تتحمل الثقل الأكبر للنظام ككل، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فهي النواة الصلبة التي تحفظ قيم النظام وتجددها عبر التنشئة الاجتماعية للفتاة خاصة، حيث أن عملية الغرس الثقافي للقيم الأبوية هي إحدى المهام الأساسية للمرأة في هذا النظام. إن وضع المرأة هنا يشكل مفارقة عجيبة، فهي الضحية الأساسية لنظام هي أكثر من يحافظ عليه ويمكنه من تجديد نفسه. إن فكرة النظام الأبوي لا تنفصل عن ثنائية السيطرة والخضوع، فهو يرفض النقد و الحوار و يدعي دوما امتلاك الحقيقة المطلقة التي لا سبيل إلى رفضها أو مراجعتها.

يرى الناقد **هشام شرابي** أن المجتمعات التقليدية هي أكثر المجتمعات التي يسود فيها النظام الأبوي، ومن أجل فضح ممارسات النظام الأبوي؛ عملت الدراسات النسوية على الدفع بمصطلحات **(مثل: الأبوية، والهيمنة الذكورية، والتهميش...)** إلى قلب النقاش الأكاديمي والسياسي. وفي الدراسات الثقافية والنسوية، سعى الباحثون والمختصون من خلال مناقشة تلك المصطلحات والمجالات البحثية المتمحورة حولها إلى " تتبع السيطرة الذكورية في المجتمعات الإنسانية، بوصف تلك السيطرة مصدرا للكبت المفروض على الأنثى. ورأى أوائل المشتغلين في ذلك الحقل أن الأبوية شائعة في كل المجتمعات، بمعنى أنها كلها أبوية النظام، ولا يُسمح للمرأة فيها أن تتجاوز موقعها الثانوي أو الدوني[7]. كما أنهم قد وجدوا في تلك المفاهيم (الأبوية، الهيمنة الذكورية، التهميش) " أداة منهجية ومعرفية للتعرف على مختلف الممارسات الجنوسية أو المتعلقة بجنس الفرد والتعبير عنها"[8].

وإذا كانت الأبوية كحالة تاريخية ووضع اجتماعي، تنكر كيان الأنثى وتنفي دورها خارج غواية الجسد؛ فإن السؤال الأساسي الذي تم طرحه من طرف المشتغلين بالدراسات الثقافية يتمحور حول: مصدر "الأبوية"؛ وهل يمكن الاكتفاء بالتفسير البيولوجي الذي يؤكد على وجود فروقات بين الذكر والأنثى والتي أدت بالضرورة إلى وجود هيمنة ذكورية وخضوع أنثوي، تحول بمرور التاريخ وتعاقب الحضارات إلى بديهية

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ووضع مقبول من الطرفين، بل إلى وضع تتبناه فئة من النساء[9]، وتدافع عنه باعتباره يمثل أصل العلاقة وما يجب أن تكون عليه.وهل للعوامل الثقافية والسيكولوجية الداخلة في التنشئة الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة نصيبها في خلق وتثمين تلك الفروقات. وبالتالي نعود إليها من أجل تفسير الهيمنة الذكورية وطبيعة التسلط الأبوي، وعبرها نفسر حالة التسليم الظاهرة التي تبديها المرأة اتجاه وضعها الدوني في المجتمعات التقليدية، وانتفاضتها ضده، وتمردها على ذاك الوضع كلما انتقلنا من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات الحديثة[10].

لقد سعت الدراسات الثقافية إلى البحث في بنية النظام الأبوي وزمن وطريقة تشكله[11]، وهو بحث ينفي عن النظام الأبوي صفة الأبدية، ويرمي به إلى خضم التاريخ باعتباره نتاجا تاريخيا لمجموعة عوامل وتراكمات عرفتها الحضارات الإنسانية القديمة.وقد ربطت الأبوية بعمل التاريخانية؛ سواء ضمن الدراسات الثقافية؛ أو في مجالات تتقاطع معها كالانثروبولوجيا وعلم الاجتماع.فلم يعد البحث منصبا على تشكل الأبوية كنظام؛ و إنما على آليات اشتغال القيم الأبوية كنظام اجتماعي، وعلى كيفية تجديد هذا النظام لنفسه ضمن ما يسميه هشام شرابي بالأبوية المستحدثة[12]. وهو بحث يرمي في غاياته القصوى إلى اكتشاف آليات تساعد النساء ومن يتبنون النسوية كفكر وممارسة على تفكيك تلك الأبوية وتجاوزها من أجل مجتمع أكثر عدلا وإنصافا للنساء. ومن ثم كان الهم الرئيسي والاشتغال الذي لم ينفك يتوسع، هو البحث عن الأنثى وما يميزها و يمايزها ، والدفع بتلك المزايا نحو الصدارة باعتبارها موضوعا مركزيا في الدراسة، ومجالا للتفكير والبحث العلمي والأكاديمي، وهذا المسعى يرمي في أقصى طموحاته إلى تحطيم مركزية الرجل وخلق مركزية الأنثى. ولا يمكن إيجاد وتعزيز تلك المركزية الوليدة للأنثى إلا عبر تهشيم التصورات النمطية والأفكار المسبقة عن المرأة والتي تدفع بها نحو الهامش حتى وهي موضوعا للقول ومجالا للتأويل، لأن مركزيتها دوما تظل على هامش مركزية أكبر وأكثر رسوخا يمثلها الرجل، أي مفهوم الأنوثة باعتبارها "الصورة التي يكونها المجتمع عن المرأة"[13]، والذي يعني تجاوز ذلك التحديد البيولوجي للمرأة والذي درجت الدراسات التقليدية والفلسفة الكلاسيكية على الدفع به إلى الواجهة كلما أتى الحديث عن الفروقات ما بين الذكورة والأنوثة؛ فالأنوثة تتجاوز الأنثى ككائن بيولوجي له خواص معينة يمكن تحديدها بسهولة، نحو آفاق رحبة تتحدد بالوضع الاجتماعي والنفسي، والذي تؤكد "النسويات" على أنه وضع تاريخي، وبالتالي فهو قابل للقلب والتغيير و التبديل و النقاش.

فالنسويات تؤكد على "أن الجنس والجندر بناءان اجتماعيان وثقافيان لا يمكن تفسيرهما داخل ما يسمى بالبيولوجيا كما لا يمكن اختزالهما في وظائف الرأسمالية. هذا الموقف ضد الماهوي يقترح أن الأنوثة والذكورة ليستا مقولتين كونيتين، أبديتين، ولكنهما إنشاءات خطابية"[14].فتمثلات الأفراد للذكورة والأنوثة يتم ترسيخها في وعيهم عن طريق اللغة، وعن طريق التمثيل اللغوي للقيم والأعراف الأبوية المبثوثة في المجتمع. ولهذا نجد أن الثقافة الشعبية ومحمولاتها الرمزية، التي تتجلى من خلال فنون القول الشعبي من حكايات وأساطير وأحاجي هي التمثيل الأبرز في المجتمعات التقليدية لمثل هذه الرؤى ذات الأصل الأبوي ، وهي رؤى تمعن في خلق صراع وهمي بين الرجل والمرأة؛ صراعا وإن كان باهتا على مستوى المعيش اليومي فإنه على المستوى الرمزي متأجج وظاهر بقوة في السرديات الشعبية حول الأصل الإنساني، والخير والشر، والقيم الاجتماعية المختلفة. وعليه تظهر ثنائية "الأنثى والذكر" كتمثيل ثقافي لمجموعة قيم، بمثابة:"معنى" يتم الصراع حوله؛ صراع يُعاد تشكيله باستمرار، وتحوير معناه من جيل إلى جيل آخر،إذْ أنّ المعنى يتشكل بصفة تامة ونهائية من طرف اللغة المتداولة التي تظل ذكورية مهما تعرضت ذكوريتها للانتقاد والتليين. إنه معنى يعاد تشكيله باستمرار على مرّ الزمن.

وبما أنّ المرأة هي الأقدر على خلق الحكاية وتداولها في الثقافة الشعبية باعتبارها "حكواتي العائلة"؛ فإنها دائمة التحايل على

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

ذكورية اللغة من خلال تضمين الحكايات الشعبية بعدا أكثر إنسانية، ومظلومية للمرأة، وعلى الرغم من أن الحكايات الشعبية تحتفظ دوما بعنصر مشترك وهو وجود الشخصية الشريرة المتمثلة في المرأة، والتي غالبا ما تكون ضحيتها أيضا هي المرأة، وهو تصور لا يقتصر على الثقافة الشعبية وأشكال تعبيرها، و إنما يمتد- وهنا مكمن الخطورة- إلى مجالات الإبداع الأدبي والفكري والفلسفي، ويتسرب إلى عمق النظريات التي تزعم لنفسها "العلمية"، وبالتالي يترسخ كحقائق علمية تستند على المعرفة العامية و الثقافة الشعبية، وتبني حول نفسها سياجا من الإجراءات التي تصبح مع الزمن عرفا معروفا يصعب محوه أو محاولة تغييره، أو حتى الحد من قسوته. و سنحاول فيما يأتي تتبع مظاهر الأبوية في نص سردي جزائري –نورس باشا-كاتبته معاصرة لنا –هاجر قويدري-،لكن زمن السرد فيه يعود إلى الفترة العثمانية بداية من 1800 إلى مقتل اليهودي بوشناق.

والحقيقة أن الروائية هاجر قويدري لم تكن أول من تناول موضوع الأبوية في كتاباتها الروائية ؛ بل سبقها إلى ذلك العديد من الروائيات الجزائريات مثل فضيلة الفاروق في ثلاثيتها الروائية ("تاء الخجل"، "اكتشاف الشهوة"، "مزاج مراهقة") حيث فضحت الممارسات الأبوية التي قام بها االرجل داخل العائلة وخارج العائلة؛ مثل الأب والأخ و تحكمهما في كل تفاصيل حياة الأنثى خاصة القضايا المصيرية كالدراسة والعمل والزواج. أو مثل الإرهابي الذي اغتصب، وضرب، وأهان المرأة ، وقتلها ،أو غيرهما... كذلك نجد الروائية مليكة مقدم خاصة في رواية "رجالي"، حيث شرّحت النظام الذكوري الذي سيطر على كل شيء، وكرسته الممارسات اليومية, فمليكة مقدم تبحث في روايتها عن هوية أنثوية تتجاوز التقسيم الجندري، وتعطي الأنثى هويتها دون اخضاعها لسلطة أخرى تتحكم فيها، أو ترسم لها حدودا لا ينبغي لها أن تخرج عنها، فهي-الروائية- تبحث عن حرية المرأة و انعتاقها من كل قيد .

ورواية "نورس باشا" لهاجر قويدري تكمل مسار الروايات السابقات لكن بسرد مختلف ، فقد اختارت الروائية حقبة زمنية من تاريخ الجزائر الحديث وهي الفترة العثمانية لتكون مرجعا زمنيا لبنيتها السردية، لكنها لم تركز على أحداث تاريخية بعينها مثلما فعلت في عملها الأخر "الرايس" ** ، ولم تكن الأحداث التاريخية حاضرة أو لها أي تأثير في سيرورة السرد ومساره. بمعنى أن الرواية -في الحقيقة-خارج الزمن العثماني، وأحداثها تقع في الزمن العربي بكل امتداداته ؛ من تسلط و قهر واستبداد ،فالرواية وثيقة اجتماعية وسيرة ذاتية عن معاناة المرأة و سطوة السلطة الأبوية، وإن استعانت بالتاريخ و تقنعت به. فالحقبة العثمانية في الرواية ليست سوى تحديد فني أدبي يعطي الرواية مكونا سرديا ضروريا. بل إن تعاقب الأيام والسنوات في الرواية لا يشكل فارقا زمنيا، بل يشكل فوارق عاطفية-لشخصية الضاوية-.

في رواية "نورس باشا" نجد سردا لشخصية أنثوية تتحمل مآسي الأيام ككل مثيلاتها داخل الزمن العربي، وتفاصيل حياةٍ يومية لامرأة تجرعت اليتم والمعاناة منذ صغرها؛ بعدما تخلى الوالد عنها وعن أمها ؛التي تزوجت رجلا آخر فرض جبروته على ابنتها الصغيرة -الضاوية-، إذ يقوم بتسخيرها للرعي منذ الصباح الباكر إلى غاية المساء. وما إن بدت ملامح أنوثتها تبرز حتى قام بتزويجها مباشرة، دون استشارتها أو أخذ رأيها. ومع أنها شعرت بالراحة منذ رؤيتها للزوج المختار لها، إلا أن الحياة أذاقتها مختلف أصناف التجبر الذكوري المفعم بالرضى الاجتماعي، والقبول العائلي الذي يقتل الاحتجاج والثورة داخل صاحبته.

تظهر في رواية "نورس باشا" مفارقات زمنية تلغي ترتيب الأحداث، وتضع القارئ أمام ترتيب المآسي والأحزان كما عاشتها "الضاوية"، فالرواية تتطرق لماضي البطلة في بلدة "عزيز"، بكل ما فيه من أفراح –بعد زواجها الأول من الباشا آغا حمدان- و من آلام –الفشل المتكرر في الزواج-.و حاضرها في الدزاير (الاسم الشعبي للجزائر العاصمة قديما)،بعد زواجها من جديد من باشكاتب الداي مصطفى

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حاكم الجزائر، وما حمله من هموم وصعاب وشقاء. إذ انتقلت من فضاء السجن والقهر والسلطة الأبوية ،إلى فضاء الحرية والحب،وبين هذا وذاك؛ تقف الأنثى عاجزة عن اتخاذ خطوة تريدها لنفسها، فكل ما حدث ويحدث يعود تقريره للرجل، أو للسلطة الذكورية المفوضة لبعض النساء -كالأم ذات الشخصية الحديدية التس تقسو على الضاوية بدل أن تمنحها الحب والعطف الذي افتقدته من أبوهاالذي تخلى عن بيته وفضل العيش هائما في الصحاري.. نجد أيضا كيد الضرة"زينب" التي أذاقت الضاوية ويلات العذاب كونها الزوجة الثانية لزوجها :للباشا كاتب فلم ترض بالضاوية - الفتاة القروية الفقيرة أن تنافسها وهي سيدة القصر الأولى.

فالرواية تعالج عدة قضايا: من أهمها الهيمنة الأبوية في الأسرة والمجتمع، والسلطة الذكورية وتهميشها للأنثى،و العنف المعنوي والجسدي الممارس في حق المرأة .

لقد لاحظنا أنه "يغلب الاسترجاع الحدثي على الرواية النسوية، -و "نورس باشا" عينة منها -كشكل من أشكال التداعي والاسترسال السردي المؤسس لصيغة البوح المكبوت. فلم يعد أمام الروائية(...)إلا صيغة البوح التي تتوزع بين البوح الذاتي والوصف الاخباري،كون المرأة في السرد تشتغل موقع الفاعل مرة،بحيث هي السارد والمتلفظ،والشخصية الفاعلة المرتبطة بالأحداث بطريقة مباشرة وعلنية مرة أخرى[15].لتبرز الرواية عبر هذا التبادل السردي حجم القهر والتسلط الممارس ضد المرأة. وقد فضحت الروائية "هاجر قويدري هذه الممارسات سرديا.

2-نورس باشا: الأنثى تدفع ضريبة أنوثتها:

إن الأبوية لا تعرف نفسها كنمط للعلاقات الاجتماعية، إلا من خلال ثنائية الهيمنة والتبعية، مستلهمة في ذلك التاريخ والدين والواقع الاجتماعي، من أجل إضفاء صفة البداهة على تلك العلاقات، وهي الصفة التي تجعل المتضرر كما المستفيد من العلاقة لا يتساءل البتة عن مبررات الهيمنة أو البتعية، فهو يتشربها من خلال تنشئته الاجتماعية كحالة طبيعية، وكأصل لما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الجنسين.

انطلاقا من هذا التصور فإن النظام الأبوي يحصر المرأة ضمن صورتين نمطيتين تتحدد من خلالهما وظيفتها في المجتمع، فهي " إما أم ولودة وزوجة مطيعة لا تخرج من دارها ولا تقصر في خدمة زوجها ورعاية أطفالها، وإما جسد أنثوي وأداة للإغراء والغواية"[16]. وكلتا الصورتين يتم استغلالها وتضخيمهما من أجل المزيد من الهيمنة الذكورية التي تضع المرأة تحت سطوة الرجل وسلطته، درءا لما يمكن أن يصدر عنها من شر (فتنة) وغواية و من عار تجلبه للأسرة .

في رواية "نورس باشا" لهاجر قويدري -موضوع الدراسة- نجد تمثيلا واضحا لهذه الثنائية الضدية الراسخة في المخيال العربي عن المرأة؛ **فالضاوية** بعد وفاة زوجها الأول –الباشا *** آغا حمدان-تضطر للزواج حتى تبعد عن نفسها تلك النظرة التي تستبطنها عنها النساء الخائفات على أزواجهن منها؛ تقول **الضاوية:** " أنا على الدوام في عيون النساء سمراء لعوب يمكنها أن تغوي أيا كان، هن لا يدركن أنني باهتة في هذا الأمر، ها هي حبات الفرح تنسل من عقد عمري، وما عاد يهمني جمعها من جديد وشدها بشهقة حياة إلى خيط الروح "[17].**فالضاوية** إذن تتمثل نفسها جسدا قد بدأت عوامل الغواية تعوزه؛ لأنها مقتنعة تماما، كأي عقل ذكوري أنّ المرأة جسد أولا وقبل كل شيء، وأن فقدانها لسطوة الإغواء الجسدي يعني بداية فقدانها لإحدى الصفات التي تُرضي غرورها. **فالضاوية** تقول عن نفسها ما تقوله مثيلاتها من النساء تحت تأثير خطاب مجتمعي ذكوري مستسلم لذكوريته، يؤمن به أفراد المجتمع ،كما تؤمن به هي، كأنما قد كتبت عليهم في كتب السماء، لا مجال لمناقشته أو رده –قضاء و قدر-.

وتحت تأثير هذا التصور الذكوري، تتحول نظرات الأخريات وأقوالهن إلى أفعال عدائية، ومواقف مؤلمة وقاسية اتجاه بطلة الرواية. بفعل هذه الصورة التي شُكلت حولها، وهو ما يجعلها تتحمل كل الإكراهات والإهانات تحت حماية وسلطة رجل، على أن تبقى ضمن صورة الغاوية التي تجعلها عرضة للانتهاك، وطبيعة النظام الأبوي وقيمه تعزز لدى المرأة قبول العوز

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

والضيم والمهانة على أن تقبل المساس بشرفها، فالشرف قيمة عليا، والاتهامات التي تطاله لا يمكن ردها كما لا يمكن للمرأة تحمل تبعاتها، لهذا تضطر **الضاوية** في الرواية إلى أن تتحمل زوجا شجعا، بطالا ينهب مالها الذي ورثته عن زوجها الأول بشكل يوصلها إلى حالة العوز التام؛ تقول في الرواية: " السبب في كل هذا جشع زوجي الأخير الذي نهب من مالي الكثير، لا أعرف كيف تحملته طوال هذا الوقت .. صبري لم يكن عليه، بل على عيون النساء اللواتي يخفن مني كلما كنت بلا رجل"[18]. وكون المرأة غير متزوجة، في مجتمع أبوي هو أكبر عائق يقف في طريقها ويمنعها من أن تعيش حياة اجتماعية سوية أو عادية. ومن أن تحضى بقَبول اجتماعي، وهذا الوضع هو الذي عبرت عنه **الضاوية** وهي تكتشف مفزوعة أن مدخراتها كلها قد سرقت من طرف خادمها(كتونيس) الذي أوفده إليها أخ زوجها لمدينة الدزاير، وحين تخرج للبحث عنه في المدينة تشعر بالضياع والعجز وقلة الحيلة التي تجعلها عاجزة عن استرداد حقها ، فتقول: " ها أنا غريبة في مدينة كبيرة لا يقف فيها ورائي رجل"[19]. وهذا الوضع -أي امرأة بلا رجل- جعل المرأة في زاوية الارتياب والشك في ظل النظام الأبوي الذي لا يقبل المرأة إلا من خلال الرجل أو من يمثل القيم الأبوية (الأم، الحماة) والذي يقدم ضمانةً بأن هذه المرأة غير خارجة عن الأعراف الاجتماعية. لهذا حين تتقدم **الضاوية** إلى **اليولداش** -شرطي مكلف بحفظ الأمن بمدينة الدزاير في العهد التركي- لتشتكي له خادمها الذي سرق مدخراتها، يبادرها بسؤال يحمل كل القيم الأبوية المبثوثة في الثقافة واللغة: " أين تسكنين؟ ألا يصاحبك رجل؟ ما اسم زوجك؟"[20].

وهذه هي قيم النظام الأبوي بكل بساطة وسلاسة؛ فالشرطي يطرح أسئلته لا شعوريا، إنها أسئلة منطقية وبديهية ومتوقعة جدا.و في وضع كهذا تضطر للتحايل والشروح الهامشية المضنية لإقناع الرجل بجدوى خروجها دون رجل؛ تقول:"بعد وقت طويل من الشرح المضني، أقنعت **اليولداش** أخيرا بضرورة اللحاق به في الميناء، وأن زوجي على سفر"[21]. فتصريحها بالحقيقة في هذا الوضع وأنها مطلقة، ولا رجل معها ينوب عنها في مثل هذا الوضع كان سيقلب تظلمها إلى ارتياب وشك فيها، فهي رغم يتمها كانت محمية من أمها ومن خالها " **العبزوزي** الذي يصير ولي أمري عند كل طارئ"[22]. كما ظلت تردد وهي تهم بترك قريتها الصغيرة والذهاب وحيدة إلى مدينة كبيرة كالدزاير قيل لها إنها تشبهها في تمردها وفي جمالها، لكن مخاوفها الدفينة كانت تتمحور حول فكرة أن تحرمها المدينة من حماية الأهل وألفة الأقارب، أي من الرعاية الأبوية التي توفرها العائلة على الرغم من كونها يتيمة، ولا سند حقيقي لها سوى أمها التي تزوجت من جديد، وخالها الذي يغالب الشيخوخة والعجز، ويقف متحدثا باسمها ونيابة عنها في كل أمر لا يكون خاصا بين النساء فقط، ولكنهما كانا كافيين ليشعراها بالأمان، وبأنها مسنودة ويمكن أن تجد سندا وملاذا تعتمد عليه وقت الحاجة، عكس المدينة الكبيرة التي لا أهل لها فيها "سوف أعيش غريبة وضائعة"[23] تقول وهي تغالب فكرة الذهاب وحيدة رغم ما ورثته عن زوجها الأول من مال وبيت في تلك المدينة.

ما نلاحظه عن اللغة السردية في رواية "نورس باشا" هو سيطرة " (الـ)سمات (الـ)أنثوية(التي) قوامها الشعرية و السردية وجرعات زائدة من الذاتية والانفعالية والوجدانية"[24] كما نجد الروائية هاجر قويدري تستعير مفرداتها من معجم المرأة الخاص، حيث تقول على لسان الضاوية: "كل صباح، حيث أصفف شعري وأعود أخبئه بالمنديل القاتم"[25] وفي موضع آخر تستحضر عوالم الأنثى عندما تتحدث عن زوجها الباشكاتب التي وجدت في حضه الحب وفي عالمه الحرية وتعلمت على يديه الكتابة والقراءة و لذي كان على النقيض من زيجاتها السابقة :"سيشتري لي كثير العطور والملابس والمجوهرات.. سيجعلني الأحلى،سيقبل كل صباح كحل عيني.[26]وهي لغة مسالمة مناقضة للمعاملة الخشنة التي حظيت بها الضاوية فيما سبق ،علّها تعوضها عن تلك الأيام الأليمة، فهي لغة بديلة، لغة حالمة و هذه هي اللغة هي بالفعل التي تود الحديث بها أو سماعها، هي لغة مفارقة للواقع الخشن،

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تتحين كل الفرص لإظهارها وهاهي الساردة تبرزها سرديا على لسانها.

3-المرأة ضد الأنثى؛ أو : المرأة حارسة القيم الأبوية:

يذهب **بورديو** في كتابه "الهيمنة الذكورية" أنه لا يمكن في أيّ حال من الأحوال اضطهاد النساء دون موافقتهن؛ هذه الموافقة التي تمر عن طريق اللاوعي والتنشئة الاجتماعية، وبالفعل نجد أمثلة كثيرة في الواقع عن هذا الاضطهاد، وفي العالم القصصي أو الروائي.وقد أظهرت رواية "نورس باشا" بعضا منه،إذ نعثر على الضدين؛ المرأة الضحية والمرأة الجلاد، وإذا كانت **الضاوية** البطلة تمثل نموذجا للمرأة الضحية التي تقاوم وضعا غير عادل، فرضته القيم الأبوية السائدة في المجتمع التقليدي، الذي لا يرى المرأة ولا يقبلها منفصلة عن توجيه وحماية الرجل، فإن **والدة** الضاوية تمثل نموذجا بارزا للمرأة التي تمارس عنفا رمزيا وماديا على الفتاة والزوجة في المجتمعات التقليدية، وبدرجة أقل نجد ضرتها **زينب** التي تمثل نموذجا هجينا للمرأة الظالمة والمظلومة معًا، والتي تتراوح بين قمع ذكوري تقاومه، وقمع سلطوي تمارسه على من هن أضعف منها وأقل رتبة اجتماعية داخل النظام الذكوري المهيمن. حيث" تتضاعف معاناة المرأة في المجتمع الذكوري، عندما لا يكون الآخر المتشبع بالنسق الذكوري رجلا، بل شخص من نفس نوعها:امرأة. ومن الملفت للنظر أن السرد النسوي العربي يستحضر تلك الطبقة من النساء المسترجلات، والتي تمثلها في الغالب الأمهات والجدات، والعمات.."[27]

نجد في رواية "نورس باشا" الأم مثل زوجها متشددة مع ابنتها الضاوية إذ تقول البنت:"تحسست أمي سراويلي الداخلية مرات عديدة، تقول أنني أخفي عنها أمر حيضي، قوامي يشتد، أثدائي الصغيرة برزت. ووجهي استدار و صرت أجمل صبية ترعى النعاج في عزيز"[28]

و تصل ذروة الحرص والتشدد من الأم إلى ممارسة السحر إذ تقوم بطقس سحري ،غايته قطع نسل البنت بعد أن فشلت في كل زيجاتها السابقة، مخافة أن تقع في الخطيئة وهي الجميلة المطلقة:

" جلست أرضا وبدأت تحفر حفرا صغيرة تحت القصب، طلبت مني أن أنزع سروالي الداخلي، وأضع في كل حفرة قطرة أو قطرتين من دم حيضي.. !

سقطت في حجرها باكية ومتوسلة، نهرتني قائلة:

- انهضي يا ابنة العاهرة وافعلي ما آمرك به.

مسحت راحة يدي على فرجي وأخرجت ما علق بها ثم قربتها منها؛ دسّت يدي في تراب الحفرة الأولى بحركة سببت لي ألما شديدا، طلبت مني أن أعيد الكرة من أجل الحفرة الثانية، لكن يدي كانت معكرة ببعض حبيبات التراب.

- هيا أسرعي ما تزال أمامنا ست حفر"[29].

إنّ هذا المقطع السردي من الرواية، يرسم لنا صورة مفصلة وواضحة للصفة القمعية التي يمكن للمرأة أن تتلبسها في تعاملها مع امرأة أخرى(أنثى) –حتى ولو كانت ابنتها-ضمن ما يجيزه النظام الأبوي، كنظام يمنح للمرأة خاصة الأم والحماة صفات أبوية يصبح لها الحق في القمع–بدلا من الرجل-، وفرض القيم والأخلاق المتوافق عليها اجتماعيا، والحق في التقرير بدلا عن صاحب الأمر، في أمور تخص صميم حياته كالإنجاب مثلا. وهي قرارات ترجع للرجل، وتُفوض للمرأة في الحالات المذكورة، كلما تعلق الأمر بالتعامل مع عالم النساء الحميمي الذي يستبطن اللذة والرغبة والعلاقة بالجسد.

وهذه الممارسات تُقمع فيها أنوثة المرأة كلما شكلت تهديدا للانسجام المجتمعي ولحالة السكينة التي تطالب بها النساء ويحافظ عليها الرجال، خاصة حين تكون كحال **الضاوية** بطلة الرواية: امرأة مطلقة تقيم في بيت أم زوجها الثاني الذي يضم رجالا ونساء يخفن من غوايتها وتأثيرها على أزواجهن، وتخاف عليها أمها وخالها (ولي أمرها) من أن تكون رغبتها، وهي المتاحة في تصور الجميع بحكم أنها المطلقة التي لا عذرية لها تمنعها عن تلبية رغبتها،أو رغبة الآخر مقابل شيئا تريده فهي ستكون سببا في جلب الفضيحة والعار لأهلها، لهذا كان ذلك الطقس السحري المانع للإنجاب سبيلا أخيرا أمام أمها كي ترتاح:

"- اليوم سأنام مرتاحة البال، لقد تخلصت من مشكلة"[30].

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هكذا قالت الأم وهي تودّع ابنتها، في بيت **سعدة** حماتها الثانية التي لا تقل أبوية وتسلطا عن أمها. لقد كانت عبارتها تلك تحمل كل القيم الأبوية التي ترى في خصوبة المرأة بعيدا عن إطارها الشرعي- الذي هو الزواج -مشكلة عويصة يجب الاجتهاد في حلها، وعدم ترك ذلك الأمر لتسيير الأخلاق والقيم والتربية الاجتماعية، تلك الأخلاق والقيم التي تفقد ثقة الأبوية كلما اقترنت بالمرأة، ويتم تثمينها والتأكيد عليها كلما انتقلت إلى صف الرجل، وهذا وجه آخر من وجوه الازدواجية التي يتسم به النظام الأبوي، فخصوبة المرأة حين تكون بلا رجل تتحول إلى لعنة، بعد أن كانت تلك الخصوبة نعمة، وهي الشرط الأساسي الذي تكتمل به مزايا النساء ومن تمام كمال أنوثتهن، وتنحدر قيمتهن دونه، ولكن في وضع **الضاوية** يتحول الأمر إلى قنبلة موقوتة وجب إبطال مفعولها، ولو قهرا: " ربما هذا ما جعل أمي تتحامل على زيجاتي الثلاث وأطفالي الثلاث وتسارع في لجم رحمي عن الإنجاب ولو سحرا"(31).

فالاقتباسات السابقة من الرواية حول جسد **الضاوية** وعذريتها وخصوبتها وإنجابها، تقدم لنا صورة واضحة عن مجتمع ذكوري، تؤمن النساء فيه قبل الرجال بأن جسد المرأة مستباح مادامت فاقدة لعذريتها، وأن تركها وجسدها مشكلة يجب حلها سريعا ولو بأبشع الطرق وأكثرها إثارة للاشمئزاز. بل إن الأم ترتاح لمجرد أن فلذة كبدها فقدت قدرتها على الإنجاب ؟ إنها فكرة مؤلمة للغاية أن تكون الأم سعيدة بحرمان ابنتها من الحمل، فقط لأن المجتمع قد يقول عنها أشياء معينة، أو يصفها بصفات ظالمة في أغلب الأحيان.

ترسم لنا رواية "نورس باشا" بتفاصيلها السردية وفواصلها الزمنية، تحولات المكان و أوضاع المرأة الصغيرة المطلقة، المدانة بالنظر إلى جمالها وغنجها –و هي تهمة مردودة-، وبتوقع فعل أشياء سيئة أو مشبوهة فقط لكونها مطلقة، أو اتهامها بإشاعات دون دليل، أو اتهامها دون بيّنة. كما تسرد الكاتبة تفاصيل الفشل الذي مر ببطلة الرواية"الضاوية"بدأ من زوج الأم المتسلط الذي استغلها في رعي الأغنام وتزويجها دون مشاورة أو موافقة، إلى زواجها من الباشا كاتب ومعاناته في القصر مع ضرتها،وزواجها ثانية تاركة ابنها ابراهيم عند عمه الباشا **فاروق**، لكن شاءت الأقدار بفشل هذا الزواج ويختم بالطلاق فقد تعرضت الضاوية للضرب المبرح والعنف من طرف ذلك الزوج المتجبر لذلك تراها أمها أنها سيئة الحظ وكل زيجاتها فاشلة (زواج على ضرة،ترمل، طلاق..) .

وتظهر جمالية البناء الفني في رواية "نورس باشا" لهاجر قويدري من خلال الامتزاج الحاصل بين سحر وسذاجة المرأة البدوية وفتنة وجرأة امرأة المدينة المتحضرة. وكلا النموذجين في الواقع خاضع لهيمنة ذكورية تفرض شكله ونمطه، وتوزع أدوارا جسدية يرتضيها الرجل حسب مزاجه ومرجعياته وثقافته ؛ فالرجل من جهة يريد امرأة ساذجة جميلة يستأثر بها لنفسه، ومن جهة أخرى لا يمانع أن تكون امرأة مطلقة ضمن نطاق مستبحاته الجنسية، ولذا فهو يفضلها على درجة من الجرأة. وقد رسمت الروائية **هاجر قويدري** عن طريق اللغة السردية صورة المرأة الأولى كزوجة بدوية مطيعة طيعة، ورسمت لنا صورة النموذج الثاني للمرأة الجريئة التي تعيش حياة الحواضر بما فيها من انفتاح

و حرية ؛ لكنه انفتاح ضمن ما يشبع شهوات الرجل، ويرضي غروره، ويسكت ألسنة المجتمع المتلهف لنقل الأخبار بلسان فضائحي يتلذذ بترجيح القيم السالبة. فبطلة الرواية **الضاوية** حتى بزواجها ضد رغبتها لم تسلم من ألسنة الغير و من ضرتها الأولى التي تقول لها:

-" تريدين أن تقنعني أنك تزوجت مرتين فقط كي لا تنهش لحمك نسوة ذلك البيت، وأنك لم تغو أحدهم، أنت يا غاوية"(32).

إنه اتهام صريح يبين ازدواجية معايير المجتمع الذكوري. رغم أن **زينب** لها ما يبرر اتهامها ذاك باعتبار أن زوجها قد اختار **الضاوية** زوجة ثانية عليها، وهو الاختيار الذي أثار غضبها، ونقلها من وضع المرأة المظلومة إلى امرأة متسلطة تستعمل في ذلك كل سلطتها من شرف ونسب ومال. وهذا التمايز في السُّلط الممنوحة للنساء هو وجه آخر من وجوه ازدواجية

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الأبوية، فالمرأة الشريفة ذات النسب لها حقوق لا تتاح للعامة من النساء، ولها سلطة تضعها في كثير من الأحيان في موقع ندية مع الرجل في التسلط على نساء أخريات:

"- أنا يتزوج عليّ من حقيرة بدوية، من طفلة برزت أثداؤها لتوها"[33].

هكذا صرخت **زينب** وهي ترى زوجها يدخل وخلفه زوجته الجديدة، وقد استغلت كل سلطتها مستعينة بحماها في توقع انزال أقصى العذاب على العروس الجديدة وفي تهديد زوجها حمدان بأن يختار بينهما، الأمر الذي اضطره أن يخبر **الضاوية** في لحظة ضعف بقراره أن تعود لأهلها:

"- ستعودين إلى أهلك في الغد"[34]

ولم يشفع لها في ذلك إلا حملها منه :

"- أنا حامل يا **حمدان**، أنا حامل"[35]

فعلى الرغم من سطوة **زينب** وحسبها ونسبها ومالها إلا أنها لا تستطيع الوقوف أمام معيار الحمل أو الذرية، ففي مقياس الأبوية، تكتسب الأم بعض الحقوق التي لا يمكن للمرأة من دون أولاد أن تكتسبها. إن حمل المرأة وإنجابها الابن الذكر تحديدا هو الذي ينقلها من وضع المهيمن عليه إلى وضع اجتماعي أعلى، وضمن شروط أفضل في ظل الثقافة والقيم الأبوية، ولا يُثَبت المرأة في بيت زوجها سوى حملها الذي يثبت خصوبتها وأنها امرأة ولود. فهي غير مطلوبة لذاتها في الغالب، بل إنها "سمراء لعوب" أو "خصبة ولود". وهذه القيم الأبوية نعثر على تمثيلاتها في رواية "نورس باشا" من خلال انتقال **الضاوية** من حال إلى حال بمجرد حملها، وأيضا من خلال فقدان ضرتها **زينب** لسلطتها وجبروتها ودعم حماها لها بمجرد أن حملت العروس الجديدة، وزاد ضعف تلك السلطة التي تحوزها الزوجة الأولى ذات الحسب والنسب حين اتضح أن المولود ذكر، وهذا التأكيد على المولود الذكر باعتباره مانح السلطة لأمه هو ميزة أساسية في النظام الأبوي القائم على هيمنة الذكورة، إذ تعتبر ولادة الذكر داخل الأسرة الحدث الأسطوري الذي يدخل البهجة والسرور عليهم، فهو السيد/ وحامل اللقب والوارث الأول والأخير.

كما أن تصرف زينب مع ضرتها الجديدة، وتقبلها التدريجي كان بمجرد إنجابها لابن ذكر؛ هو تصرف يحمل في طياته مجموعة قيم أبوية يتشربها الفرد في ظل الأبوية، وهي قيم تربط الفتنة والغواية بالمرأة، لتعفيها من التهمة بمجرد تحولها إلى زوجة وأم، ولكن طالما هي دون زوج فإن هذه العلاقة تتحول في حال المرأة المطلقة الجميلة إلى تهمة أكيدة؛ لهذا فقد ظلت تهمة الغواية شديدة اللصوق بالضاوية وظلت التهمة تكبر وتتسع كلما فشلت في زيجة من زيجاتها السابقة، ولكونها كذلك، أي غاوية في نظر الجميع، فقد كان الرجل، كما النساء، يتصور أنها امرأة متاحة يمكن أن يضاجعها دون مقدمات إذا ما أتيحت له فرصة الاختلاء بها، وهذا ما عبر عنه الباشكاتب **للضاوية** بعد أن وضعتها الظروف في طريقه بشكل عابر، فظن حين عرف وضعها بأنها متاحة، وأنها مجرد " مومس بدوية"[36]، أو كما قالت **الضاوية** " يقابلني صباحا.. ثم ينكحني في المساء؟"[37]؛ وهو تصور تسنده قيم وتنشئة اجتماعية تبرره وتمنحه المشروعية، وتجعله غير مدان اجتماعيا حين يصدر من الرجل، لأنه في مثل هذه الحالة لا يقوم سوى بالاستجابة لما رسخ في وعيه من نظرة وتصورات عن المرأة.

4- تمرد الأنثى:

غالبا ما يكون في مجتمعنا نوعان من النساء: المرأة النمطية التقليدية، التي تكون دوما خاضعة لكل ما تفرضه قوانين المجتمع الذكوري عليها، دون أن تتجرأ على الرفض أو مخالفة الأوامر، تعيش في خوف دائم من السلطة الممارسة عليها. وتصبح -كلما تقدم العمر والتجارب- تنتظر صلاحيات إضافية بفعل تراجع الرقابة الاجتماعية عليها، وربما يكون ذلك بفعل خفوت شرارة جسدها. إنها المرأة الذكورية، المقتنعة تماما بعدالة القوانين الاجتماعية، وبوجوب التقيد بها من أجل مصلحة الجميع بما في ذلك المرأة المضطهدة. هذا النوع سرعان ما تصبح أشد وطأة على مثيلاتها في الجنس، فتمارس عليهن رقابة مكملة لرقابة الرجل؛ بل وتسهم بكل الأشكال الممكنة في فرض الخطاب الذكوري والتحذير من مغبة الخروج عن تقاليده وأعرافه. وصنف آخر من النساء متمرد لا يرضى

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بالذل والهوان والانقياد، امرأة تسعى دوما للحصول على مكانها في المجتمع بغض النظر عن جسدها الأنثوي، إنها امرأة لا ترى أنوثتها نقصانا بل اختلافا، فهي بمكانة الرجل، أو على الأقل لها عالمها الذي يختلف عن عالم الرجل..

ورواية "نورس باشا" تشير إلى الصنفين معا، وتشير إلى مراحل تطور المرأة من نمط محكوم إلى نمط حاكم، من أنثى تئن تحت وطأة الذكورة إلى امرأة تعمل في شرطة الذكورة. فنلحظ مثلا تغيرا جذريا في شخصية **الضاوية** بفعل الظروف التي عاشتها، إذ تغلبت على خوفها، وصارت قوية ولا تخشى شيئا فهي في البداية تحاول الهروب من واقعها القروي المر وتسافر إلى مدينة"الدزاير" التي تراها رمز الثقافة والتحرر والتي تشبه النورس الطائرالأبيض المائي الذي يعيش مستمتعا بالبحر لا يخش شيئا .وبعد وفاة زوجها تعود إلى المدينة مرة أخرى بعدما رحلت عنها تجنبا للذكرى،نجدها تطالب بحقها الضائع (الأملاك والمجوهرات التي سرقها الخادم) قائلة:" قمت على سريري في رجفة مباغتة، هي رجفة القرار النهائي، نعم سأذهب من أجل رفع التظلم، التحفت ومشيت نحو قصر السلطان الداي مصطفى باشا"[38]. هذا التغير لا يحصل دفعة واحدة، بل تزداد الأنثى صلابة كلما تعرضت لظلم أكبر وسطوة أشد. لكن ردة فعل المرأة مختلفة؛ فبعض النساء تحقق مطالب ذكورية لنفسها، فتصبح أمًّا متسلطة أو ضرة ماكرة، والبعض الآخر تفكر في الخلاص من هذا السجن الذكوري المقيت الذي ينظر بعين الرجل لوحده.

نلاحظ أن الروائية هاجر قويدري تسرد مثالاعن الأم المتسلطة بكثير من الجرأة، فالمهم عند الأم اخفاء جسد ابنتها الغض كي لا تصل إليه أيادي الرجال ، ولا ترى في ذلك سبيلا إلا بتزويجها بأول طالب زواج، حفاظا على عذريتها التي تمثل الشرف في المجتمعات العربية، وإذا فقدته الفتاة فإنها قد تخسر حياتها -ضربا مبرحا أو تنكيلا وعقابا-لأنها قامت بفعل الخزي والعار. وإذا ماحافظت الفتاة على شرفها فالفضل في ذلك يعود إلى محارمها، وإذا لم تفعل فالذنب ذنبها على كل حال؛ ولكن العار يلحق بها وبعائلتها و كل قبيلتها. وبالتالي فحتى تلك النقطة المضيئة ؛المتمثلة في المحافضة على شرفها ،هي في الواقع للحفاظ على سمعة الرجال بين أقرانهم، إذ ليس بين جدران بيوتهم فتاة بغي، وهم فوق ذلك مقتدرون على التحكم بما يقع تحت سلطتهم من الحريم.

غالبا ما تدفع الأنثى الجميلة ضريبة جمالها، فتتحجز في البيت، وقد تحرم من الدراسة أو العمل خوف أن يراها الرجال ويفتتنون بجسدها فيطمعون في الوصول إليه ، لذلك يتم تزويجها -حتى و لو كانت صغيرة السن- لأي شخص يطلب يدها، أو يرتضيه لها رب الأسرة ؛ فالمهم هو أن تحمل لقب رجل ما، وتكون تحت حمايته وسلطته، يفض بكارتها ويحصل على رمز الشرف.

و الضاوية، بطلة رواية "نورس باشا" مثال ذلك، فما إن بدت سمات البلوغ وعلامات الأنوثة تظهر عليها سارع زوج الأم بجلب زوج لها دون رضاها، فهو يخاف أن تغوي أحدا بجسدها الفتي الطري، الذي سجن منذ أول يوم بلوغها، أو حتى قبل بلوغها:" لم أكن قد بلغت عندما قرر زوج والدتي توقيفي عن الرعي، والدخول إلى البيت في انتظار خطوبة مؤكدة" [39]لكن **الضاوية** لا تجد وسيلة غير الهروب من المنزل، واللجوء إلى الغابة حيث صادفت فيها "حمدان " فوفّر لها الحماية من الرجال لأجل نفسه، وخوفا عليها أرجعها إلى بيتها وبين ليلة وضحاها عقد قرانها منه.

تستمر الروائية هاجر قويدري في سردها الروائي في إبراز القمع الذي تعرضت له الضاوية وبنات جنسها. بدءا من زوج الأم الذي سعى إلى التخلص منها باكرا، وتزويجها وهي صغيرة، إلى تعرضها بعد الزواج للإهانة والمعاملة القاسية من طرف ضرتها زينب زوجة **حمدان** الأولى.22 وتشاء الأقدار أن يموت زوجها حمدان، فتقرر العودة إلى بيت أمها دون أخذ ولدها ابراهيم، فقد اقتنعت أنه من الأفضل أن يبقى في بيت والده المرحوم الباشاغا حمدان كي يعيش عيشة كريمة، لتجد أمامها مرة أخرى زوج أمها الذي لم يتغير وبقي متسلطا وطماعا وجشعا كما كان عليه ؛ بل صار أكثر جشعا من ذي قبل؛ إذ تقول "لقد أخذ مني كل نقودي، حتى ملابسي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المطرزة صار يسرقها و يبيعها في سوق السبت"[40]. كما أنهاصارت في نظر الجميع المرأة الغاوية التي تخافها النساء، وهي في نظر الرجال يمكن أن تكون امرأة في المتناول. فهي تتعرض للظلم والقهر من الجنسين معا ،بل الظلم والقهر يلاحقانها من الذكورة ومن الأنوثة.

وطوال مساحات سردية، تلاحق الضاوية رجلا تختفي خلف لقبه، فلا مكان لإمراة بلا رجل. زيجات كثيرة وخيبات أكبر، ولغة سردية تفضح مواجع الإناث، وتعري واقعا مرّا يصعب الالتفاف حوله إلا بمرور الآلام. إنّ تكرار مسألة الزواج في الرواية يضعنا أمام مجتمع يعيش شرفا شكليا مبنيا على علاقة يقبلها المجتمع باختيار طرف واحد. والتكرار نتيجة حتمية للفشل، فما ننجح فيه نتجاوزه للتفكير في غيره، أما ما نفشل فيه فنحاول إعادته من أجل أن نكون كغيرنا (زوجات لا أكثر). ونحن هكذا إذا ما أردنا كتابة تاريخ النساء فسنكتب حتما تاريخ تطور زواج النساء، أي تاريخ مشاركة المرأة جسدها مع رجل، وكيف تطورت هذه المشاركة نصرا وانهزاما، فشلا و جاحا.

هذا، وتشير الروائية هاجر قويدري إلى قضية أخرى وهي قضية الاغتصاب. فالاغتصاب يكاد يكون المصير المحتوم لكل أنثى ليست تحت جناح رجل. إنه مجتمع ذئاب في حالة بحث دائم عن صيد أنثوي، فإن لم تكن سبيا فزوجة، وإلا فزوجة ثانية فثالثة، فإن ظفر الرجل بامرأة لا رجل لها أو معها؛ فالاغتصاب مصيرها؛ وبكل ما يملكه الذكور من سلطة على اختيار ما طاب لهم من النساء، يمكنهم أيضا استظهار عضلاتهم وتمزيق نسيج الضعيفات من النساء مثل عائشة : "كانت تجهش بالصراخ الناطق، أثوابها الممزقة تظهر بعض أجزاء جسدها النحيل، لكمات قاسية لحقت بها على وجهها وصارت تتلون بالأزرق والبنفسجي المحمر.. لقد كانت عائشة خرساء ولم يكن لها أي ملاذ سوى الضاوية التي كانت تشاركها الألم والمرارة"[41].فكانت **الضاوية** هي الملجأ لها بعد أن غدر بها الرجل و اغتصبها.

فرواية "نورس باشا" تراوحت بين التاريخ والحياة الاجتماعية والذات والأبوية ،أبرزت فيها الروائية هاجر قويدري وجه (الدزاير) الاجتماعي والكثير من الطقوس والعادات والمعاملات ،خاصة مع المرأة في جزائر الفترة العثمانية،حيث سيطرت الذكورة على الأنوثة واستبيح جسد المرأة ،فالرواية صورة عن الجزائر في تلك الفترة و عن المرأة فيها.

خاتمة:

تعد **"الأبوية"** نظاما من الأفكار والمعتقدات والتمثلات التي يتشبع بها الأفراد، و يتم ترسيخها في أذهانهم لتصبح نظاما ومحددا لسلوكاتهم و مسارا عاما لحياتهم. كما يمكن اعتبارها مجموعة من القيم التي تكونت عبر سيرورة زماكنية معينة. وتستمد الأبوية قوتها من استسلام أفراد المجتمع لها وتسليمهم ببداهتها وصحتها وأنه لا مجال للخروج عنها.

لقد قامت رواية "نورس باشا" للروائية الجزائرية هاجر قويدري بتقديم التمثيل الإبداعي للشخصيات الأبوية المتسلطة،- التي تمارس كل قيم القهر والتسلط-، فكشفت ممارسات هذا المجتمع الذكوري الذي شيّد حصنا منيعا حول تمثلات وصور للأنوثة يصعب زحزحتها ودحرها ، ونتيجة لذلك تعرضت فئات واسعة من النساء إلى قهر أسري واجتماعي، كما ساهم مجتمع النساء في هذا القهر بطريقة أو بأخرى بعد تفويض السلطة الأبوية إليه.

استعملت الروائية الكثير من الثنائيات الضدية لتكون ملائمة لنصها الروائي،مثل ثنائية الريف(قرية عزيز وما تحمله من قيود وألم) ومدينةالدزاير بكل ما تحمله من صفات التحرر وانعتاق)، ثنائية البوح والافصاح،وثنائية الفرح والألم...و قد أبرزت الرواية من خلال السرد الممنهج والواعي ازدواجية المعايير في التعامل مع المرأة والتي لم تكن في الحقيقة سوى طرق متعددة لتلبية رغبات الفحولة الذكورية، وتكريس للسلطة الأبوية، التي تمظهرت بأشكال عدة في رواية "نورس باشا".

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

حيث حاولت الروائية كشف الأقنعة وإدانة تلك الممارسات الأبوية واظهار زيف منطقها، من أجل علاجها والتقليل من ضحاياها من النساء، لأن الأزمنة تتشابه.

كما أبرزت الروائية الصراع بين المرأة والمرأة التي تقمصت دور الرجل وحاولت السيطرة على من هي مثلها، وبين المرأة و الرجل الذي يحتكم للعادات والتقاليد والمرجعيات-التي هو صانعها ومكرسها في الواقع-التي تجعل من المرأة هامشا حياتيا ومتنفسا للرغبات ومسرحا لتحقيق اللّذة، بينما الرجل مركز ومحور الكون.

فالروائية هاجر قويدري في نصها السردي "نورس باشا"، انطلقت من الواقع الجزائري الحاضر لتعود إلى ماض وزمن ولى لكن ممارساته و سلوكات الرجال فيه مازالت مستمرة إلى اليوم ،تعاني منها المرأة وتعيش في ظلالها وتحت سطوتها وجبروتها.

هوامش البحث

-Mary Murray, The law of the farher? patriarchy in the transition from feudalism to capitalism,Routledge, first published, 1995, p 13.

-Ibid, p 13-14.

- عزّة شرار بيضون، الجندر . . . ماذا تقولين؟ دار الساقي، بيروت - لبنان، ط1، 2012، ص 28.

- كدو فاطمة، الخطاب النسائي ولغة الاختلاف: مقاربة الأنساق الثقافية، دار الأمان، الرباط-المغرب، د-ط، د-ت، ص 19.

5-المرجع نفسه:ص89.

* رواية "نورس باشا" لهاجر قويدري صدرت عن منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، سنة 2011.و نالت في السنة نفسها جائزة الطيب صالح للرواية.

6-فاطمة كدو: الخطاب النسائي ولغة الاختلاف مقاربة للأنساق الثقافية، منشورات دار الأمان، الرباط، 2014، د-ط، ص 89.

7-إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وتأثيره على العائلة والمجتمعوالسلطة ، ت .د.م: ،2020/03/28 https://elaph.com/Web/opinion/2010/10/607072.html

8-سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص 57.

9 -المرجع نفسه، ص 57.

10-عزة شرارة بيضون، مواطنة لا أنثى، دار الساقي، بيروت-لبنان، ط1، 2015، ص13.

11-شارلين ناجي هيسي -بايبر باتريشا لينياليفي، مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقا، تر: هالة كمال، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، ط1، 2015، ص 23 وما بعدها.

12 -انظر: غيردا ليرنر: نشأة النظام الأبوي، تر: المنظمة العربية للترجمة سنة 2013.

13 -ينظر هشام شرابي: النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، دار الغرب، الجزائر، ط1، 2002.

14-سارة جامبل: النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، مر: هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 335.

- كريس باركر: معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، دار رؤية، القاهرة، ط1، 2018، ص 358.

**صدرت روايتها سنة 2015و هي رواية استدعت فيها هاجر قويدري التاريخ ،و كانت حول بطل البحار الرايس حميدو و بالضبط تناولت الفترة الزمنية الممتدة من 1991 إلى 1815تاريخ وفاة الرايس حميدو. في هذه الرواية إشارة لقصة الباشكاتب زوج الضاوية الأخير في رواية نورس باشا ، و لا تظهر الضاوية إلا في أحاديثه.

- الأخضر بن السايح: سرد الجسد وغواية اللغة قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص 157.

- إبراهيم الحيدري: النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، دار الساقي، ط1، 2003، ص 12.

***الباشا رتبة في الحكم العثماني.

- هاجر قويدري: نورس باشا، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2011، ص 17.

- الرواية، ص 18.

- الرواية، ص 78.

- الرواية صح 78.

- الرواية، ص 78.

- الرواية، ص 36.

- الرواية، ص 36.

-عبد الله الغدامي: المرأة واللغة،ر بيروت ط اولى 1996ص202 .

- الرواية،ص105.

- الرواية،ص109-110.

- وهابي عبد الرحيم: السرد النسوي العربي من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية ط أولى2016 ،دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع،ص22.

- الرواية،ص94.

- الرواية، ص 8.

- الرواية، ص 11.

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

- الرواية، ص 13.
- الرواية، ص 33.
- الرواية، ص 110.
- الرواية، ص 119.
- الرواية، ص 33.
- الرواية، ص 107.
- الرواية، ص 107.
39 -الرواية،ص85.
- الرواية، ص 94 .
- الرواية، ص 146.
- الرواية، ص 48.

قائمة المصادر والمراجع :

1 -الأخضر بن السايح:(2011)سرد الجسد وغواية اللغة، قراءة في حركية السرد الانثوي وتجربة المعنى،الأردن ، ط1، عالم الكتب الحديث.

2-إبراهيم الحيدري، (2003) النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، لبنان، دار الساقي.

3 -إبراهيم الحيدري (2020) النظام الأبوي وتأثيره على العائلة والمجتمع والسلطة ، ت. د. م :2020/03/28 . https://elaph.com/Web/opinion/2010/10/607072.html

4 -سارة جامبل،(2002)، النسوية وما بعد النسوية، تر: أحمد الشامي، القاهرة-مصر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

5 -سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، بيروت. دار الكتب العلمية.

6 -شارلين ناجي هيسي -بايبر باتريشا لينااليفي، (2015)مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقا، تر: هالة كمال، القاهرة-مصر، المركز القومي للترجمة.

7 -عزّة شرار بيضون، (2012)، الجندر . . . ماذا تقولين؟ ، بيروت - لبنان، دار الساقي.

8 -عزة شرارة بيضون، (2015)، مواطنة لا أنثى، بيروت-لبنان، دار الساقي.

9 -عبد الله الغدامي،(1996)، المرأة واللغة،بيروت،ط1،بيروت.

9 -غيردا ليرنر(2013)، نشأة النظام الأبوي، تر: المنظمة العربية للترجمة. لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية.

10-فاطمة كدو، (2014) ،الخطاب النسائي ولغة الاختلاف: مقاربة الأنساق الثقافية، المغرب، دار الأمان

11 -كريس باركر، (2018) معجم الدراسات الثقافية، تر: جمال بلقاسم، القاهرة، ط1، دار الرؤية .

12 -هاجر قويدري، (2013) نورس باشا ، الجزائر، ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار .

13 -هشام شرابي، (2002) النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، الجزائر، دار الغرب.

14-عبد الرحيم وهابي:(2016)السرد النسوي العربي، من حبكة الحدث إلى حبكة الشخصية،ط أولى دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع.

المراجع الأجنبية

15 -Mary Murray, The law of the farher? patriarchy in the transition from feudalism to capitalism,Routledge, first published, 1995.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)